

توظيف اشتراط موافقة رسم المصاحف في علم التفسير

The employment of the requirement for conformity with the script of the codices in the science of Tafsir

عائشة بنت عبد الله الطواله*

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن (المملكة العربية السعودية) daam4043@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/04/14 تاريخ القبول: 2025/09/24 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

إن اتفاق رسم المصاحف العثمانية ليس مجرد صورة كتابية لكلمات القرآن الكريم سواء وافقت الرسم الإملائي أم لا، بل هو أيضا أداة تفسيرية لها قيمتها العلمية في التفسير، ومن هذا المنطلق هدف هذا البحث إلى بيان القيمة العلمية لما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه، وبيان أثره في التفسير. والكشف أيضا عن كيفية توظيف المفسرين لذلك في كتبهم، مع عرض نماذج توضيحية. واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل إلى نتائج من أبرزها: أن اتفاق المصاحف العثمانية يمكن الاستدلال به في التفسير على تحديد المعنى المراد في الآية، واعتباره قرينة معتبرة تساعد على ترجيح الأقوال، وأيضا قد يستعان به لاستبعاد معنى متجه في الآية إذا خالف ما اتفقت المصاحف على رسمه.

الكلمات المفتاحية: الرسم العثماني؛ المصاحف؛ التفسير؛ أثر؛ اتفاق.

Abstract:

The conformity of the Uthmanic codices in script is not merely a visual representation of the Qur'anic words—whether or not it aligns with conventional orthography—but rather a hermeneutical tool with significant interpretive value. From this perspective, the present study aims to elucidate the scientific value of the scriptural agreement found in the Uthmanic codices and to explore its impact on Qur'anic exegesis. It further investigates how exegetes have employed this conformity in their works,

supported by illustrative examples. The study adopts a descriptive-analytical methodology and arrives at several key findings, most notably: that the agreement in the Uthmanic script can serve as evidence in determining the intended meaning of a verse, act as a valid interpretive indicator to support one exegetical opinion over another, and may also be used to exclude a possible interpretation if it contradicts the agreed script of the codices.

Keywords: Rasm Uthmani, Mus'hafs, Tafsir, Impact, Ittifaq

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو معجزة نبينا محمد ﷺ الخالدة، والتي تكفل الله تعالى بحفظها سالمة من التغيير والتبديل، يقول سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

ومصدقاً لما ذكره الله تعالى حرص المسلمون منذ عهد الرسالة على حفظه في الصدور، وكتابته في الصحف، فلم يمت النبي ﷺ إلا وقد حفظ في الصدور وكتب.

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، تجلّى حفظ القرآن الكريم بالإضافة لما سبق بأمره ﷺ بجمع القرآن على حرف واحدة، وكتابته في نسخ متعددة وزعت على أمصار المسلمين؛ ليكون الناس على رسم واحد، وحرف متفق عليه. وقد وافقه الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك، ومن هنا نشأ علم يعرف (بعلم رسم المصحف).

ولأن علم رسم المصحف استقى مادته من القرآن الكريم، فقد نشأ بينه وبين علم التفسير علاقة وثيقة، اهتمت بتوضيحها العديد من الدراسات، والتي جاءت في الغالب مركزة على كيفية استفادة المفسرين من قواعد الرسم العثماني في تفسير الآيات التي اختلفت رسومها في المصاحف العثمانية، أو تلك التي تضمنت قراءات قرآنية متعددة.¹ ولكون إفادة المفسرين من علم رسم المصحف ليست متوقفة على ذلك فقط، بل تعداه أيضا إلى توظيفهم ما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه في تفسير الآيات القرآنية، سواء وافق الرسم الإملائي أم لا.

وجاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذا الجانب، سعياً لإبراز هذا التأثير، وتبييناً لوجه لطيف من وجوه توظيف المفسرين للرسم العثماني في التفسير.

أهمية الموضوع:

1. يُعد رسم المصاحف العثمانية أحد أركان القراءة القرآنية المقبولة.
2. الكشف عن كيفية استفادة علماء التفسير من اتفاق رسم المصاحف العثمانية في تفسير الآيات القرآنية.
3. توضيح وجه من وجوه العلاقة الوثيقة بين علمي رسم المصحف والتفسير من خلال إبراز أثر اتفاق المصاحف العثمانية في رسم الكلمات على تفسير القرآن الكريم.

¹ من الدراسات التي تناولت ذلك: بحث بعنوان (أثر الرسم العثماني في التفسير) د. سامي الجعيد، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة العدد العشرين. أيضا بحث بعنوان (رسم المصحف وأثره في التفسير) لعلاء جاسم، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، ع9، 1432 هـ. أيضا بحث بعنوان (التكامل الدلالي بين الرسم العثماني والتفسير القرآني) لمحمد المنجد، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، ع1، مجلد12، 2021. أيضا بحث بعنوان (دلالة الصوت والرسم على التفسير: دراسة تأصيلية تطبيقية) لسعاد عبولان، بحث منشور بمجلة مركز جزيرة العرب، ع7، مج1، 2020. أيضا بحث بعنوان (اختلافات الرسم العثماني وعلاقتها بالمعنى القرآني) أ. حنان فنيير، مجلة الأصالة، ع9، 2024. أيضا بحث بعنوان (الرسم العثماني عند ابن عطية الأندلسي من خلال تفسيره المحرر الوجيز) د. لؤلؤة العدساني، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، ع205، مج56، 2023.

مشكلة البحث:

تبرز إشكالية هذا البحث في الأسئلة الآتية:

- ما القيمة العلمية لما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه، وهل له أثر في التفسير؟
- كيف وظف علماء التفسير اتفاق رسم المصاحف العثمانية في علم التفسير؟ وهل هناك نماذج تطبيقية من خلال كتب التفسير تبرز القيمة العلمية؟

أهداف البحث:

- بيان القيمة العلمية لما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه، وبيان أثره في التفسير.
- الكشف عن كيفية توظيف المفسرين لما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه في التفسير.
- عرض نماذج تطبيقية من كتب المفسرين توضح القيمة العلمية لاتفاق رسم المصاحف العثمانية.
- حدود البحث: يُعنى هذا البحث بدراسة (توظيف اشتراط موافقة رسم المصاحف في علم التفسير) فخرج بذلك:

- ما اختلف رسمه في المصاحف العثمانية.

- ما اتفقت المصاحف على رسمه ولم يكن له أثر في التفسير.

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

- مقدمة: تضمنت أهمية البحث، وأهدافه، وإشكاليته، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفاهيم أساسية في البحث.

المبحث الثاني: نشأة المصاحف العثمانية بإيجاز.

المبحث الثالث: توظيف المفسرين لاتفاق المصاحف العثمانية في التفسير.

الخاتمة: وتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي والسؤال وجدت الباحثة الدراسة الآتية:

-بحث محكم بعنوان (أثر اتفاق رسم المصاحف العثمانية واختلاف القراءات في التأصيل لقضايا فقهية معاصرة) للباحثة أسماء محمد عيسى، وهو بحث محكم منشور عام 2022م في مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية بكلية الآداب- جامعة كفر الشيخ، ع27.

ويتضح من عنوان البحث أن هناك ثمة اختلاف بينه وبين هذا البحث، حيث تنصب الدراسة على بيان أثر اتفاق رسم المصاحف العثمانية واختلاف القراءات في التأصيل لقضايا فقهية معاصرة من خلال تطبيقات على آيات الأحكام. بخلاف هذا البحث الي يُعنى بدراسة أثر اتفاق المصاحف في التفسير بشكل عام سواء وقع فيها اختلاف القراءات أم لا، وإيراد تطبيقات من جميع آيات القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفاهيم أساسية في البحث:

المطلب الأول: رسم المصحف:

الرسم لغة: هو الأثر، أو بقية الأثر، أو ما ليس له شخص من الآثار. يقال: ناقة رسوم أي تؤثر في الأرض من شدة الوطء. ويقال ترسمت الدار، أي نظرت إلى رسومها، ويقال أيضا ثوب مرسم أي مخطط.²

وأما المصحف لغة: فهو مأخوذ من (صَحَف) الذي يدل على انبساط في شيء وسعة. والصحيفة: بشرة وجه الرجل. والصحيفة هي التي يكتب فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [الأعلى: ١٨]، والمصحف هو الجامع للمصحف المكتوبة بين الدفتين قال الأزهرى: "وإنما سمي المصحف مصحفاً؛ لأنه أصحف أي جعل جامعا للمصحف المكتوبة بين الدفتين" أ.هـ.³

وأما تعريفه اصطلاحاً باعتباره اسم مركباً فقد عرف بتعريفات كثيرة، من أشهرها:

تعريف الإمام المارغني حيث قال: "هو علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي" أ.هـ.⁴

وعرفه الزرقاني بقوله: "الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في كتابة القرآن الكريم وحروفه على ما استقر في العرصة الأخيرة" أ.هـ.⁵

والأصل موافقة المکتوب للمنطوق، لكن الرسم العثماني جاءت فيه حروف كان رسمها مخالفاً لمنطوقها. ولذا قُسم الرسم العثماني إلى قسمين:

القسم الأول: الرسم القياسي: هو تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها، والوقف عليها.

² ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 93/2. محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، 1414هـ، 241/12.

³ محمد الأزهرى، تهذيب اللغة، 149/4. وانظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 334/3. محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، 186/9.

⁴ إبراهيم المارغني، دليل الحيران على مورد الظمان، ٦٣.

⁵ ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 420/1.

القسم الثاني: الرسم التوقيفي: وهو علم يُعرف به مخالافات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي⁶ وهو الذي ألفت فيه الكتب. ويسمى أيضا بـ(الرسم العثماني) نسبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي أمر بنسخ القرآن وجمعه⁷.

المطلب الثاني: (اتفاق المصاحف):

يُراد بمفهوم (اتفاق المصاحف) في هذا البحث هو تطابق كتابة الكلمة القرآنية الواحدة في جميع المصاحف العثمانية التي بعثها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إلى الأمصار الإسلامية.

ومما يجدر التنبيه عليه أن ما اتفقت المصاحف على رسمه قسمان:

القسم الأول: ما اتفقت المصاحف على رسمه مما خالف الرسم القياسي، فحكمه في هذه الحالة ما قاله الزمخشري: "وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضرير ولا نقصان؛ لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف"⁸.

وهذا القسم مما اهتم بدراسته علماء الرسم والقراءة وألفوا فيه الكتب، مثل كتاب (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق) لابن عامر (118هـ)، وكتاب (المقنع في رسم مصاحف الأمصار) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، وكتاب (المصاحف) لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، وكتاب (مختصر التبيين لهجاء التنزيل) لأبي داود سليمان بن نجاح الأندلسي (ت 496هـ) وغيرها كثير.

القسم الثاني: ما اتفقت المصاحف على رسمه مما وافق الرسم القياسي، فهذا القسم مما لم يتعرض له علماء الرسم والقراءة إلا نادرا؛ لموافقة الرسم الاملائي المعروف.

⁶ إبراهيم المارغني، دليل الحيران على مورد الظمان، 63.

⁷ ينظر: إبراهيم المارغني، دليل الحيران على مورد الظمان، 63.

⁸ ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 27/1401.

المطلب الثالث: التفسير:

لغة: هو الإبانة والكشف، والإيضاح. يقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان ٣٣] أي: مبين للمعاني بيانا كاملا.⁹ ويقول ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه" أ.هـ.¹⁰

أما في الاصطلاح فقد عُرف بتعاريف كثيرة، من أشهرها:

تعريف ابن جزي حيث قال: "ومعنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه، أو إشارته، أو فحواه" أ.هـ.¹¹

وعرفه أبو حيان بقوله: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك" أ.هـ.¹² وعرفه الشيخ ابن عثيمين بأنه: "بيان معاني القرآن الكريم".¹³

والملاحظ أن جميع التعريفات السابقة تتفق على أن التفسير بيان للمعاني. لكن تعريف أبي حيان أشار فيه إلى أن علم التفسير يشمل البحث (عن كيفية النطق بألفاظ القرآن)، وهذا مما يُعنى به علم القراءات لا التفسير. أما تعريف الشيخ ابن عثيمين فهو تعريف مختصر. ولعل تفسير ابن جزي أنسبها- من وجهة نظر الباحثة-؛ لأنه يُبين أن التفسير يتمثل في شرح الآيات وبيان ما تضمنته من معاني، سواء كانت هذه المعاني مأخوذة من نص الآية مباشرة، أو مستفادة من إشارتها أو فحواها. فهو تعريف يحدد ما يسعى إليه المفسر من خلال تفسيره للآيات القرآنية.

⁹ ينظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 582.

¹⁰ ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4/504.

¹¹ ينظر: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل 1/15.

¹² ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 1/26.

¹³ ينظر: محمد العثيمين، أصول في التفسير، ص 26.

المبحث الثاني: نشأة المصاحف العثمانية بإيجاز:¹⁴

كان الصحابة رضوان الله عليهم يقرؤون القرآن بما أقرأهم رسول الله ﷺ، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، وعظم الأمر.

وذلك أن حذيفة بن اليمان ﷺ شارك في غزوة أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق وأهل الشام، وسمع الخلاف الواقع بينهما في قراءة القرآن، حتى كان الرجل يقول للرجل: قراءتي خير من قراءتك، فلما رأى ذلك قدم المدينة، وقال لعثمان ﷺ: "أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"¹⁵. عند ذلك جمع عثمان ﷺ المهاجرين والأنصار، وشاورهم في جمع القرآن على حرف واحد؛ قطعاً للاختلاف، وحتى تتفق الكلمة، فاستصوبوا رأيه. يقول أبو عمرو الداني: "رأى هو ومن بالحضرة من الصحابة أن يجمع الناس على حرف واحد من تلك الأحرف، وأن يسقط ما سواه، فيكون ذلك مما يرتفع به الاختلاف ويوجب الاتفاق، إذ كانت الأمة لم تؤمر بحفظ الأحرف السبعة، وإنما خيرت في أيها شاءت لزمته وأجزأها، كتخييرها في كفارة اليمين بالله بين الإطعام والكسوة والعق، لا أن يجمع ذلك كله فكذاك السبعة الأحرف"¹⁶.

فأمر ﷺ بإحضار الصحف من عند أم المؤمنين حفصة ﷺ،¹⁷ وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم أجمعين بنسخ المصاحف، وقال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"¹⁸. ففعلوا ما أمرهم به، حتى إذا انتهوا من نسخ الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل مصر من أمصار الإسلام بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن أن يحرق.¹⁹

¹⁴ ينظر: أبو غبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص 282. أبو عمرو عثمان الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص 123. شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ص 68 وما بعدها.

¹⁵ ينظر: أبو غبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص 282. أبو عمرو عثمان الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص 123.

¹⁶ أبو عمرو عثمان الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص 123.

¹⁷ ينظر: أبو شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ص 68 وما بعدها.

¹⁸ ينظر: أبو غبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص 282.

¹⁹ ينظر: أبو غبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص 282. أبو عمرو عثمان الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص 123 وما بعدها. أبو شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ص 68 وما بعدها.

وأجمعت الأمة على تلقي عمل عثمان رضي الله عنه بالقبول. يقول مصعب بن سعد: "أدركت الناس حين شقق عثمان رضي الله عنه - المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعجب أحد".²⁰ وقد عدّ جمع المصاحف من مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه -.

واختلف في عدد المصاحف التي بعثها عثمان رضي الله عنه - إلى الأمصار الإسلامية على أقوال:

1/ أنها أربعة: أرسل مصحفًا إلى الشام، ومصحفًا إلى الكوفة، ومصحفًا إلى البصرة، وأبقى مصحفًا بالمدينة.

2/ أنها خمسة: الأربعة السابقة، والخامس أرسله إلى مكة.

3/ أنها ستة، الخمسة السابقة، والسادس أرسله إلى البحرين.

4/ أنها سبعة، الستة السابقة، والسابع أرسله إلى اليمن.

5/ أنها ثمانية: السبعة المتقدمة، والثامن المصحف المسمى بالإمام، وهو الذي جُمع فيه القرآن أولاً، ثم نسخت منه المصاحف.²¹

ومنذ ذلك الحين حرص المسلمون على المحافظة على رسم المصحف العثماني، بل بلغت العناية به أن جعلوا من شروط قبول القراءة القرآنية موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً. كما ألفوا الكتب في رسمه وهجائه، حتى نشأ علم يعرف بعلم (الرسم العثماني).²²

المبحث الثالث: توظيف المفسرين لاتفاق المصاحف العثمانية في التفسير.

وظف المفسرون -رحمهم الله- اتفاق رسم المصاحف العثمانية في التفسير كقرينة يستدل بها على معنى الآية شريطة أن يكون لهذا الاتفاق أثر في تفسير الآية، إما ببيان معناها، أو ترجيح قول على آخر، أو دحضه، أو إزالة لبس أو إشكال عنها أو غير ذلك من أنواع البيان والتفسير؛ فاتفق رسم المصاحف في هذه الحالة يُعدّ ذا قيمة كبيرة لدى المفسر، ووسيلة يستعين بها، ويسترشد به في تفسيره للنص القرآني.

²⁰ ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص 284.

²¹ ينظر: إبراهيم المارغني، دليل الحيران على مورد الظمان، ص 43.

²² ينظر: محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، 11/1.

أما ما اتفقت على رسمه في المصاحف دون أن يكون له أثرٌ في تفسير الآية، وبيان معناها، مثل كتابة كلمة ﴿الصَّلَاةُ﴾ ﴿الرِّيَا﴾ ﴿الْحَيَوَةُ﴾ بواو بدلا من الألف، فهذا لم يتعرض له المفسرون أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم إلا نادرا.

وبناء على ما سبق نستطيع القول إن:

- اتفاق المصاحف عند المفسرين أضيق نطاقاً من أئمة الرسم والقراءة من جهة أن ليس كل ما اتفقت المصاحف على رسمه يُعد مؤثراً في تفسير الآية.

- اتفاق المصاحف عند المفسرين أوسع نطاقاً من أئمة الرسم والقراءة من جهة أن اتفاق المصاحف المؤثر في تفسير الآية قد يكون موافقا لرسم الاصطلاحي (العثماني) أو موافقا لرسم القياسي، بخلاف أئمة الرسم والقراءة الذي ينصب اهتمامهم على دراسة الرسم الاصطلاحي.

ويمكن إجمال توظيف المفسرين لاتفاق المصاحف العثمانية في التفسير بالآتي:

المطلب الأول: توظيف اتفاق رسم المصاحف العثمانية في تحديد معنى الآية.

من قواعد التفسير عند المفسرين قاعدة (الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له).²³ ولذا وظف المفسرون اتفاق رسم المصاحف العثمانية في الاستدلال على معنى الآية، وجعلوه قرينة يُستدل بها على معناها، ومن الأمثلة التي توضح ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:3].

الشاهد في الآية: كلمتي ﴿كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَزَنُوهُمْ﴾.

اتفقت المصاحف العثمانية على رسم كلمتي (كَالُوهُمْ) و (وَزَنُوهُمْ) بدون ألف بعد الواو في الفعلين.

أما المفسرون فقد بينوا أن معنى الآية: كالوا الناس، أو وزنوا لهم. وأن (هم) في الفعلين ضمير نصب متصل، فيكون مفعولا به، ويعود على الناس،

²³ ينظر: حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، 77/1.

والأصل في هذين الفعلين التعدي لاثنيين.²⁴ وعلى هذا يكون الوقف على الميم في الفعلين؛ لأنهما حرف واحد.²⁵

ورؤي عن عيسى بن عمر أنه جعل (هم) في الفعلين ضميرا منفصلا، فتكون توكيدا. وبالتالي يجوز الوقف على (كالوا) و(وزنوا) والابتداء بالضمير (هم).²⁶

ويكاد يجمع المفسرين كابن جرير، والبغوي، وابن جزي، والواحدي وغيرهم على القول الأول،²⁷ وهو أن (هم) ضمير متصل بالفعل؛ مستدلين باتفاق المصاحف العثمانية على رسم كلمتي (كَالُوهُمُّ) و (وَزَنُوهُمُّ) بدون ألف بعد الواو في الفعلين، مما يدل على أنهما كلمة واحدة. وأعرض أكثر المفسرين عن ذكر القول الثاني، ومن أورده منهم فهو - غالبا - على سبيل الحكاية له

يقول البغوي: "وقال أبو عبيدة: والاختيار الأول، يعني: أن كل واحدة كلمة واحدة؛ لأنهم كتبوها بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانت: (كالوا) و (وزنوا) بالألف كسائر الأفعال، مثل جاءوا. وقالوا: وافقت المصاحف على إسقاط الألف" أ.هـ.²⁸

وقال البيضاوي: "لا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل؛ فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله، إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع، لا في المباشرة وعدمها. ويستدعي إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره" أ.هـ.²⁹

ويقول ابن جرير الطبري: "والصواب في ذلك عندي الوقف على 'هم'؛ لأن 'كالوا' و 'وزنوا' لو كانا مكتفين، وكانت 'هم' كلاما مستأنفا، كانت كتابة 'كالوا' و 'وزنوا' بألف فاصلة بينها وبين (هم) مع كل واحد منهما، إذ كان بذلك جرى الكتاب في نظائر ذلك، إذا لم

²⁴ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 187/24. عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5/ 450. علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط، 310/23. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 362/8. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، 460/2.

²⁵ ينظر: محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، 347/1.

²⁶ ينظر: المراجع السابقة في الهامشين السابقين.

²⁷ ينظر: المراجع السابقة.

²⁸ الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 362/8.

²⁹ عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 294/5.

يكن متصلا به شيء من كنايات المفعول، فكتابتهم ذلك في هذا الموضع بغير ألف أوضح الدليل على أن قوله "هم". إنما هو كناية أسماء المفعول بهم: أ.هـ.³⁰

فاتفاق المصاحف على اسقاط الألف دليل على أن ما ذهب إليه المفسرون في معنى الآية هو الصحيح، ولا اعتبار لما قاله عيسى بن عمر لمخالفته ما يقتضيه موافقة رسم المصاحف.

قوله تعالى: ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: 6]

الشاهد في الآية: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾

اتفقت المصاحف العثمانية على رسم ألف نهاية الفعل (تَنْسَى).

واختلف المفسرون معنى قوله: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ على قولين:

1/ أن (لا) ناهية، والمعنى: نهي من الله أن يعجل بقراءة القرآن. كما قال جل ثناؤه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ [القيامة: 16-17]. والألف إشباع وللفاصلة. وهو قول مجاهد.³¹

2/ أن (لا) نافية. فنفى سبحانه وتعالى عنه النسيان إلا ما شاء الله أن تنساه. ورجحه ابن جرير الطبري.³²

وقد ذهب أبو حيان، وابن عادل الدمشقي إلى أن (لا) في الآية نافية؛ لأن جميع المصاحف اتفقت على أن الياء في (تنسى) مثبتة. وجعلها مزيعة للفاصلة خلاف الأصل. يقول أبو حيان: "القول بأن لا في ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ للنهي، والألف ثابتة لأجل الفاصلة، وهذا قول ضعيف. ومفهوم الآية في غاية الظهور، وقد تعسفوا في فهمها. والمعنى أنه تعالى أخبر أنه سيقرئه، وأنه لا ينسى إلا ما شاء الله، فإنه ينساه، إما النسخ، وإما أن يسن، وإما على أن يتذكر، وهو ﷺ معصوم من النسيان فيما أمر بتبليغه، فإن وقع نسيان، فيكون على وجه من الوجوه الثلاثة" أ.هـ.³³

³⁰ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 624/8.

³¹ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 315/24.

³² المرجع السابق.

³³ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 454/10.

ويقول ابن عادل الدمشقي: " (لا) للنفي لا للنهي، وقيل: للنهي، وإنما أثبتت الياء لرؤوس الآي، والمعنى: لا تغفل قراءته وتكراره فتدساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة، والأول هو المختار؛ لأن الاستثناء من النهي لا يكاد يكون إلا مؤقتاً معلوماً، وأيضاً فإن الياء مثبتة في جميع المصاحف وعليها القراءات" أ.هـ.³⁴ فظهر مما سبق أن المفسرين يعتبرون ما اتفقت على رسمه المصاحف.

المطلب الثاني: توظيف اتفاق رسم المصاحف العثمانية في بيان المعنى الراجح من المرجوح.

إذا وردت أقوال في تفسير الآية، وجب على المفسر النظر في الأقوال والجمع بينها ما أمكن، والترجيح فيما بينها إن لم يمكن ذلك، مستنداً في ترجيحه إلى علم صحيح، ويُعد هذا من التفسير بالرأي المحمود،³⁵ ومن الأمور التي يمكن أن يستند إليها المفسر في تقديمه لأحد الأقوال، أو ترجيحه، ويعتمد عليه، الاستدلال باتفاق رسم المصاحف العثمانية. ومن الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ١٥٨].
الشاهد في الآية: ﴿ أَنْ يَطَّوَّفَ ﴾.

اتفقت جميع المصاحف العثمانية على رسم كلمة (أَنْ يَطَّوَّفَ) بدون (لا) بينهما. واختلف المفسرون في معنى الآية إلى قولين:

القول الأول: إن السعي بين الصفا والمروة من أعمال العمرة والحج التي ينبغي على المسلم الإتيان بها. وإنما جاءت الآية بلفظ يقتضي الإباحة؛ لأن بعض الصحابة- رضوان الله عليهم- امتنعوا من السعي بينهما، والسبب في ذلك أنه كان في الجاهلية على جبل الصفا صنم يقال له أساف، وعلى جبل المروة صنم يقال له نائلة، فلما أسلموا خافوا أن يكون السعي بينهما

³⁴ ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، 279/20. وانظر أيضاً: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 315/24. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 454/10. محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 130/31.

³⁵ ينظر: مساعد الطيار، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص 296.

تعظيمًا للصنمين، فرفع الله -عزَّ وجل- ما وقع من ذلك في نفوسهم. يقول ابن عاشور: "فتأكيد الجملة بـإن؛ لأن المخاطبين مترددون في كونهما من شعائر الله، وهم أميل إلى اعتقاد أن السعي بينهما من أحوال الجاهلية" أ.هـ.³⁶

القول الثاني: أن السعي بين الصفا والمروة تطوُّع، إن فعله المسلم كان محسناً، وإن تركه لا يلزمه بتركه شيء. وإليه ذهب عبد الله بن الزبير ومجاهد وعطاء، واحتجوا بقراءة ابن عباس، وأنس، وشهر بن حوشب، وابن سيرين (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما) بإثبات لا،³⁷ وهو مكتوب في مصحف عبد الله كذلك.³⁸

وقد ردَّ القول الثاني كثير من المفسرين بأدلة منها: اتفاق رسم المصاحف العثمانية على رسم كلمة (أن يطوف) بدون (لا). يقول ابن جرير: "فإن اعتل بقراءة من قرأ 'فلا جناح' عليه أن لا يطوف بهما". قيل: ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين، غير جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها..... ولو كان رسمُ المصحف كذلك لم يكن فيه لمحتج حجة، مع احتمال الكلام ما وصفنا. لما بيَّنا أن ذلك مما علم رسول الله ﷺ أمته في مناسكهم، على ما ذكرنا، ولدلالة القياس على صحته، فكيف وهو خلافُ رسوم مصاحف المسلمين، ومما لو قرأه اليوم قارئ كان مستحقاً العقوبة لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه؟" أ.هـ.³⁹

وقال الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ما نصه: "فلو كان رسم المصحف كذلك لم يكن فيه لمحتج حجة مع احتمال الكلام ما وصفناه، فكيف وهو خلافُ رسوم الشيخ الإمام ومصاحف أهل الإسلام؟ ثم إن الدليل على أن السعي بينهما واجب، وعلى تاركه الإعادة - ناسيا تركه أو عامدا- بظاهر الأخبار أن رسول الله ﷺ فعل ذلك وأمر به" أ.هـ.⁴⁰

³⁶ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 60/2.

³⁷ وهي قراءة شاذة، لا يقرأ بها. ينظر: عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 203/1.

³⁸ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 724/2. أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 27/2. عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 230/1. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 173/1. إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، 340/1.

³⁹ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 724/2.

⁴⁰ أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 27/2.

- قوله تعالى ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر ٤]

الشاهد في الآية: كلمة (أمر). أجمعت المصاحف العثمانية على رسمها كذلك. وأورد المفسرون وجوها في معنى الآية:

- منها أنها سلام من كل أمر مخوف ينبغي أن يسلم منه.⁴¹

- ومنها أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضيه الله سبحانه في ذلك العام.⁴²

- وذكر بعض المفسرين قولاً آخر رُوي عن الكلبي هو أن جبريل-عليه السلام- ينزل فيها مع الملائكة. فيسلمون على كل امرئ مسلم، وهذا المعنى متسق مع قراءة ابن عباس "من كل امرئ سلام".⁴³

وفسرت الآية بالقولين الأولين، أما قول الكلبي المبني على قراءة ابن عباس-عليه السلام- فعده المفسرون قولاً مرجوحاً لا يقبل كمعنى للآية؛ لمخالفة قراءة ابن عباس ما اتفقت المصاحف على رسمه. يقول ابن جرير: "حدثت عن يحيى بن زياد الفراء، قال: حدثني أبو بكر بن عياش، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: "من كل امرئ سلام" وهذه القراءة من قرأ بها وجه معنى من كل امرئ: من كل ملك؛ كان معناه عنده: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل ملك يسلم على المؤمنين والمؤمنات؛ ولا أرى القراءة بها جائزة، لإجماع الحجة من القراء على خلافها، وأنها خلاف لما في مصاحف المسلمين، وذلك أنه ليس في مصحف من مصاحف المسلمين في قوله "أمر" ياء، وإذا قُرئت: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ لحقتها همزة، تصير في الخط ياء. والصواب من القول في ذلك: القول الأول الذي ذكرناه قبل، على ما تأوله قتادة".⁴⁴

⁴¹ ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 505/10. علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 537/4.

⁴² ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 547/24. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 506/10.

⁴³ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 548/24. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 506/10.

⁴⁴ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 548/24.

المطلب الثالث: توظيف اتفاق رسم المصاحف العثمانية في استبعاد معنى متجه في الآية.

لا يُعتد بكل الأقوال المفسرة للآية وإن تعددت، فقد يُستبعد معنى متجه في الآية إذا خالف ما أجمعت المصاحف على رسمه، ومن الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿بَلِ آدَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا بَلَ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل ٦٦]

الشاهد في الآية: كلمة (بل). رسمت كلمة (بل) في جميع المصاحف العثمانية غير موصولة بياء. وذكر المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿بَلِ آدَارَكَ﴾ ثلاثة أقوال:

1/ أنها بمعنى: يدرك علمهم في الآخرة، أي يعلمون فيها الحق، لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق، وهذا المعنى متسق مع على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر (أدرك) بهمزة قطع على وزن أفعل.⁴⁵

2/ أنها بمعنى: تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها، أي: يعلمون في الآخرة علما كاملا، ما كانوا يجهلون في الدنيا، أو تناهى إلى ألا يعلموا وقتها. وهذه المعنى متسق مع قراءة باقي القراء العشرة، حيث قرؤوا (آدرك).⁴⁶

3/ أنها استفهام بمعنى أنه لم يدرك؟، فوجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذّبين بالبعث. وهذا المعنى متسق مع قراءة ابن عباس ؓ (بلى آدَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) بإثبات ياء بعد لام بل.⁴⁷

واستبعد ابن جرير الطبري القول الثالث وضعفه رغم أنه صحيح المعنى والإعراب، مستدلا على ذلك بمخالفة معناه لما أجمعت المصاحف العثمانية على رسمه، يقول في ذلك: "فأما القراءة التي ذُكرت عن ابن عباس، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب، فخلافا لما عليه مصاحف المسلمين، وذلك أن في (بلى) زيادة ياء في قراءاته ليست في المصاحف "أ.هـ."⁴⁸

⁴⁵ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 108/18. عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 268/4. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 147/6. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، 106/2.

⁴⁶ ينظر: المراجع السابقة.

⁴⁷ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 108/18.

⁴⁸ المرجع السابق.

- قال تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان ٣١]
الشاهد في الآية: كلمة (الظالمين).

اتفقت المصاحف العثمانية على رسم كلمة (الظالمين) بالياء؛ لأن ما قبلها منصوب.
ومعنى الآية: أن الله تعالى يدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين أعداء لهم عذاباً أليماً.
فيكون (أعداء لهم) تفسيراً لهذا المضمّر.⁴⁹

وهناك قول آخر في الآية اعتماداً على قراءة ابن الزبير وأبان بن عثمان "والظالمون"⁵⁰
بالرفع على الابتداء، فيكون الذي بعد الظالمين خبر الابتداء، وهو وجهٌ حسن وجائز، كما
وصفه أبو حيان.⁵¹

ورغم أن القول الثاني وجهٌ حسن وجائز في تفسير الآية، إلا أنه مستبعد؛ لأنه في
حال ورد أكثر من معنى صحيح للآية عن المفسرين فالتفسير المقبول هو التفسير الموافق لما
أجمعت المصاحف على رسمه. يقول الإمام الزمخشري: "وقرأ ابن الزبير: والظالمون على
الابتداء، وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها، مع مخالفتها
للمصحف" أ.هـ.⁵²

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا
الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة ٢٦]

يقول ابن عطية: "وروي عن ابن مسعود أنه قرأ في الأولى: «يُضِلُّ» بضم الياء وفي
الثانية «وما يُضِلُّ» بفتح الياء «به إلا الفاسقون». وهذه قراءة متجهة لولا مخالفتها خط
المصحف المجمع عليه"⁵³ فردت هذه القراءة-رغم أن معناها مقبول-؛ لمخالفتها ما اتفقت
المصاحف عليه من كتابة (الفاسقين) بالياء.

⁴⁹ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 578/23. عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر
الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 415/5. تفسير ابن كثير، 301/8. محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 863/30.
عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 903.

⁵⁰ وهي قراءة شاذة. انظر: عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 344/2.

⁵¹ ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 370/10.

⁵² ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 676/4.

⁵³ عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 112/1.

المطلب الرابع: توظيف اتفاق رسم المصاحف العثمانية في عد القراءة الشاذة من قبيل التفسير.

يُعدّ إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه إجماعاً ذو قيمة كبيرة، لأنه إجماع على أن ما كتب في المصاحف هو القرآن الكريم الذي نزل على النبي ﷺ، واستقرت عليه العرضة الأخيرة. ولذا اعتبر الرسم العثماني معياراً أساسياً في قبول القراءات القرآنية، وركنا من أركان القراءة المقبولة،⁵⁴ فما وافق الرسم العثماني ولو احتمالاً يُقبل، وما خالفه يُرد⁵⁵.

فإذا خالفت القراءة ما أجمعت المصاحف على رسمه سميت بالقراءة الشاذة؛ لأنها جاءت مخالفة لما أجمع عليه من نص القرآن الذي نقل بالتواتر. وكان أول من أطلق مصطلح الشذوذ على القراءة المخالفة لخط المصحف هو ابن جرير الطبري حيث قال معلقاً على قراءة ابن مسعود (وإن كان مكرهم): "وغير جائز عندنا القراءة كذلك، لأن مصاحفنا بخلاف ذلك، وإنما خطّ مصاحفنا وإن كان بالنون لا بالبدال"⁵⁶، وإذا كانت كذلك، فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين، وإذا لم يجز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة إلا ما عليه قراء الأمصار دون من شذ بقراءته عنهم"⁵⁷ أهـ.

وكان للقراءة الشاذة أثر واضح في تفسير القرآن الكريم، حيث اعتبر كثير من المفسرين أن القراءات إذا خالفت الرسم العثماني باشتمالها على زيادة كلمة، أو استبدال كلمة بأخرى، أو تغيير في ترتيب الآية، فهي من قبيل التفسير للآية.

⁵⁴ لعل من المناسب ذكر أركان القراءة المقبولة الثلاثة وهي::

1- التواتر: وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، من غير تعيين عدد على الصحيح. ولو كانت عن فوق السبعة أو العشرة من القراء المشهورين .

2- موافقة اللغة العربية، ولو بوجه، سواء أكان الوجه فصيحاً أم أفصح، لأن القراءة سُنَّة متبعة يلزم المصير إليها وقبولها.

3- موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً: فالقراءة إما أن توافق رسم المصحف موافقة صريحة، أو توافق رسم المصحف احتمالاً، كقوله تعالى: (وَمَا يَخْدَعُونَ) [البقرة: 9] فقد كتبت كلمة (يَخْدَعُونَ) بدون ألف في جميع المصاحف، فمن قرأها بحذف الألف وافقت قراءته رسم المصحف موافقة صريحة، ومن قرأ بإثبات ألف بعد الخاء (يَخْدَعُونَ) وافقت قراءته رسم المصحف احتمالاً.

ينظر: أبو عمرو الداني، المقنع في رسم المصاحف، 17.. محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/11-9. علي بن محمد الصفاقسي، غيث النفع في القراءات السبع، ص 6.

⁵⁵ ينظر المراجع السابقة.

⁵⁶ بقصد القراءة المتواترة (وإن كان مكرهم).

⁵⁷ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، 13/724.

والشواهد الدالة على هذا النهج عند المفسرين كثيرة، منها ما قاله الثعلبي عن قراءة ابن عباس: " وقرأ ابن عباس (والله لأهل الإساءة غفور رحيم)⁵⁸ ، وهذا على جهة التفسير أشبه منه على جهة التلاوة لخلافه المصحف"⁵⁹

وأيضاً ما قاله أبو حيان: "قرأ ابن عباس وعكرمة ومجاهد: تخزون به مكان ترهبون به"⁶⁰ وذكرها الطبري على جهة التفسير لا على جهة القراءة، وهو الذي ينبغي لأنه مخالف لسواد المصحف".⁶¹ وقال في موضع آخر: "وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه، فينبغي أن يجعل تفسيراً، وكذا ما ورد عنه وعن غيره مما خالف سواد المصحف".⁶²

ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾ [البقرة 196]

الشاهد في الآية: قوله تعالى: (وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ). اتفقت المصاحف على كتابتها كذلك، وورد في الآية قراءات شاذة خالفت رسم المصحف منها:

- (وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ لِلَّهِ) ونسبت القراءة لابن مسعود -رضي الله عنه- بزيادة (إلى البيت).⁶³
- (وَأَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ) ونسبت لعلقمة، وإبراهيم النخعي.⁶⁴

وقد عدّها بعض المفسرين من قبيل التفسير للآية، منهم ابن عطية وأبو حيان، يقول أبو حيان بعد أن سرد القراءات المخالفة: "وينبغي أن يحمل هذا كله على التفسير: لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون".⁶⁵ أ.هـ.

⁵⁸ القراءة المتواترة هي ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة 91].

⁵⁹ ينظر: عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 250/3.

⁶⁰ وذلك في قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال 60].

⁶¹ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 345/5.

⁶² أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 260/1.

⁶³ ينظر: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 266/1.

⁶⁴ ينظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 217/1.

⁶⁵ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 255/2. وانظر أيضاً: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 266/1.

-قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ ۖ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة ١٣٧]

الشاهد في الآية: قوله تعالى (فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا)

اتفقت المصاحف العثمانية على رسمها (فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا). وروي ابن جرير الطبري عن ابن عباس ؓ أنه كان يقرأ (فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا).⁶⁶ وقراءته شاذة لمخالفته ما أجمعت المصاحف عليه، لكن اعتبر جمهور المفسرين هذه الزيادة تفسيراً للآية، منهم:

- يقول الإمام القرطبي: "وقيل إن الباء زائدة مؤكدة. وكان ابن عباس يقرأ فيما حكى الطبري: "فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا" وهذا هو معنى القراءة وإن خالف المصحف، فـ "مثل" زائدة، كما هي في قوله: (ليس كمثله شيء) أي ليس كهو شيء" أ.هـ.⁶⁷

- الألوسي يقول: " قيل: المثل مقحم كما في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدُهُمَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ۖ﴾ [الأحقاف: ١٠] أي عليه، ويشهد له قراءة أبي «بالذي آمنتم به» وقراءة ابن عباس «بما آمنتم به» وكان رضي الله تعالى عنه يقول: اقرؤوا ذلك فليس لله تعالى مثل، ولعل ذلك محمول على التفسير".⁶⁸

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ ۖ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبا ١٤]

الشاهد في الآية: قوله تعالى (تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ).

اتفقت المصاحف على كتابتها (تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ).

⁶⁶ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 600/2.

⁶⁷ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 142/2.

⁶⁸ شهاب الدين السيد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 394/1. وينظر أيضا: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 215/1. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 156/1.

وروي أن ابن مسعود وابن عباس -رضي الله عنهم قراها: (تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب).⁶⁹

بإضافة (الإنس) وتقديم وتأخير في الآية.

وُتعد قراءة ابن مسعود وابن عباس -رضي الله عنهم- شاذةً لمخالفتها اتفاق المصاحف، لكنها استُعملت كتفسير للآية، ففسر قوله تعالى (تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ) أن الإنس علمت وتيقنت أن الجن لا يعلمون الغيب، وأنهم يكذبون عليهم؛ لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما ادعوا ما لبثوا يعملون الأعمال الشاقة التي كلفهم بها سليمان عليه السلام سنة كاملة دون أن يعلموا بموته، إلا بعد أن أكلت الأرضة من عصاه وسقط. ويدعم هذا المعنى قراءة ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: (تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب) يقول القرطبي: "فلما خر تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. وهذه القراءة من ابن عباس على جهة التفسير".⁷⁰ أ.هـ.

خاتمة:

الحمد لله الذي يسر لي إتمام هذا البحث، والذي كان من أبرز نتائجه:

- أن المفسر عند تفسيره للآيات لا غنى له عن النظر في رسم المصحف، سواء كانت المصاحف متفقة فيما بينها على الرسم أم مختلفة، مما جعلها تمثل الصيغة الكتابية للقرآن الكريم.
- تعددت أوجه توظيف المفسرين لما اتفقت المصاحف على رسمه في علم التفسير من خلال وجوه عدة هي:

- اعتبار اتفاق رسم المصحف قرينةً قويةً لتحديد المعنى المراد للآية.

⁶⁹ ينظر: عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 232/2.

⁷⁰ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 14/ 281. ينظر أيضاً: إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، 443/6.

• اعتباره في المفاضلة بين الأقوال التفسيرية، فقد يُستبعد معنى متجه في الآية إذا خالف ما اتفقت المصاحف على رسمه، أو يُرجح القول الذي يوافق ما اتفقت المصاحف عليه.

• جعله معيارًا حاسمًا في الحكم على القراءة المخالفة لاتفاق النماذج المذكورة في المصاحف بزيادة كلمة، أو نقصها، أو استبدال كلمة بأخرى، أو تقديم وتأخير في كلمات الآية في الحكم عليها بالشذوذ، وعدّها من قبيل التفسير للآية.

ختامًا توصي الباحثة بمواصلة دراسة هذا الجانب في البحوث القرآنية المعاصرة، كدراسته من خلال توظيف اتفاق رسم المصاحف في القراءات كدراسة تطبيقية، لأن أغلب الدراسات المعاصرة تركز على ما وقع فيه الاختلاف بين المصاحف.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم المارغني، دليل الحيران على مورد الظمان، ط1، القاهرة: دار الحديث، ب.ت.
- إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ط1، 1408هـ-1988م.
- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، ط1، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط1، جدة: دار التفسير، 1436هـ.
- إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ.
- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط4، السعودية: دار طيبة، 1417هـ.
- طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ط3، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1412هـ.
- السيد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415-1994.
- عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ط1، بيروت: دار صادر، ١٣٩٥ هـ.
- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.
- عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.
- عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب المصاحف، ط1، مصر: الفاروق الحديثة، 1423هـ، ص191.
- عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ.
- عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ.
- عثمان أبو عمرو الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ت: محمد قمحاوي، ط1، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ب.ت.
- علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط، ط1، السعودية: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ.
- علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- علي بن محمد الصفاحسي، غيث النفع في القراءات السبع، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت.
- عمر بن علي بن عادل الدمشقي اللباب في علوم الكتاب، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م.

- القاسم بن سلام أبو عبيد، فضائل القرآن، ط1، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.
- محمد بن أحمد بن الأزهر، تهذيب اللغة، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ.
- محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ط1، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416 هـ.
- محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ط1، دمشق: مجمع اللغة العربية، 1390 هـ.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط1، السعودية: دار هجر، 1422 هـ.
- محمد بن صالح العثيمين، أصول في التفسير، ط1، الرياض: المكتبة الإسلامية، 1422 هـ.
- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ط1، الرياض: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، 1436 هـ.
- محمد بن عمر الرازي المعروف بالفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، ، بيروت: 12 دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.
- محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، ط1، بيروت: المطبعة التجارية الكبرى، ب. ت.
- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ب. ت.
- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، القاهرة: دار الريان للتراث، 1407 هـ.
- مساعد الطيار، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ط2، السعودية: دار ابن الجوزي، 1428 هـ.
- يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ط1، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.